THE ARABIC TEXT

مقدمة

رسالة ابن أبي زيد القيرواني

تأليف

عبد الله بن أبي زيد القيرواني

ت 386 هـ

نص مقدمة مؤلف الرسالة رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قال أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني -رضي الله عنه وأرضاه-:

الحمد لله الذي ابتدأ الإنسان بنعمته، وصوره في الأرحام بحكمته، وأبرزه إلىٰ رفقه وما يسره له من رزقه، وعلمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيمًا، ونبهه بآثار صنعته، وأعذر إليه علىٰ ألسنة المرسلين الخيرة من خلقه فهدىٰ من وفقه بفضله، وأضلَّ من خذله بعدله، ويسَّر المؤمنين لليسرىٰ، وشرح صدورهم للذكرىٰ، فآمنوا بالله بألسنتهم ناطقين، وبقلوبهم مخلصين، وبما أتتهم به رسله وكتبه عاملين، وتعلموا ما علمهم، ووقفوا عند ما حد لهم، واستغنوا بما أحل لهم عما حرم عليهم.

* **أما بعد:**

أعاننا الله وإياك علىٰ رعاية ودائعه، وحفظ ما أودعنا من شرائعه، فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة من واجب أمور الديانة مما تنطق به الألسنة، وتعتقده القلوب، وتعمله الجوارح، وما يتصل بالواجب من ذلك من السنن من مؤكدها ونوافلها ورغائبها، وشيء من الآداب منها، وجمل من أصول الفقه وفنونه علىٰ مذهب الإمام مالك بن أنس -رحمه الله تعالىٰ- وطريقته، مع ما سهَّلَ سبيل ما أشكل من ذلك من تفسير الراسخين، وبيان المتفقهين، لما رغبت فيه من تعليم ذلك للولدان كما تُعلمهم حروف القرآن، ليسبق إلىٰ قلوبهم من فهم دين الله وشرائعه

ما تُرجَىٰ لهم بركته وتُحْمَد لهم عاقبته، فأجبتك إلىٰ ذلك، لما رجوته لنفسي ولك من ثواب من علَّم دين الله أو دعا إليه.

واعلم أن خير القلوب أوعاها للخير، وأرجىٰ القلوب للخير ما لم يسبق الشر إليه، وأولىٰ ما عني به الناصحون، ورغب في أجره الراغبون إيصال الخير إلىٰ قلوب أولاد المؤمنين ليرسخ فيها، وتنبيههم علىٰ معالم الديانة، وحدود الشريعة؛ ليراضوا عليها، وما عليهم أن تعتقده من الدين قلوبهم، وتعمل به جوارحهم؛ فإنه روي أن تعليم الصغار لكتاب الله يطفئ غضب الله، وأن تعليم الشيء في الصغر كالنقش في الحجر.

وقد مثلت لك من ذلك ما ينتفعون -إن شاء الله- بحفظه، ويشرفون بعلمه، ويسعدون باعتقاده والعمل به، وقد جاء أن يؤمروا بالصلاة لسبع سنين، ويضربوا عليها لعشر، ويفرق بينهم في المضاجع، فكذلك ينبغي أن يعلَّمُوا ما فرض الله علىٰ العباد من قول وعمل قبل بلوغهم ليأتي عليهم البلوغ وقد تمكن ذلك من قلوبهم، وسكنت إليه أنفسهم، وأَنِست بما يعملون به من ذلك جوارحهم.

وقد فرض الله ﷻ علىٰ القلب عملاً من الاعتقادات وعلىٰ الجوارح الظاهرة عملاً من الطاعات.

وسأفصل لك ما شرطتُ لك ذكره بابًا بابًا ليقرب من فهم متعلميه -إن شاء الله تعالىٰ-، وإياه نستخير وبه نستعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

باب: ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات

من ذلك: الإيمان بالقلب، والنطق باللسان أن الله إله واحد لا إله غيره، ولا شبيه له، ولا نظير له، ولا ولد له، ولا والدَ له، ولا صاحبة له، ولا شريك له.

ليس لأوليته ابتداء، ولا لآخريته انقضاء، ولا يبلغ كنه صفته الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفكرون، يعتبر المتفكرون بآياته، ولا يتفكرون في ماهية ذاته، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، وسع كرسيه السموات والأرض ولايئوده حفظهما وهو العلي العظيم.

العالم الخبير المدبر القدير السميع البصير العلي الكبير، وأنه فوق عرشه المجيد بذاته، وهو في كل مكان بعلمه.

خلق الإنسان، ويعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين.

علىٰ العرش استوىٰ، وعلىٰ الملك احتوىٰ، وله الأسماء الحسنىٰ والصفات العلا، لم يزل بجميع صفاته وأسمائه متصفًا، تعالىٰ أن تكون صفاته مخلوقة، وأسماؤه محدثة.

كلم موسىٰ بكلامه الذي هو صفة ذاته لا خلق من خلقه، وتجلىٰ للجبل فصار دكًّا من جلاله، وأن القرآن كلام الله، ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفد.

والإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وكل ذلك قد قدره الله ربنا، ومقادير الأمور بيده، ومصدرها عن قضائه، عَلِمَ كل شيء قبل كونه فجرىٰ علىٰ قدره،

لا يكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق علمه به: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]. يضل من يشاء فيخذله بعدله، ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله، فكلٌّ ميسر بتيسيره إلىٰ ما سبق من علمه وقدره، من شقي أو سعيد.

تعالىٰ الله أن يكون في ملكه ما لا يريد، أو يكون لأحد عنه غنًىٰ، أو يكون أحد من خلقه خالقًا لشيء، وأنه ما ثَمَّ خالق إلا هو رب العباد ورب أعمالهم، والمقدِّر لحركاتهم وآجالهم، الباعث الرسل إليهم لإقامة الحجة عليهم، ثم ختم الرسالة والنذارة والنبوة بمحمد نبيه ﷺ فجعله آخر المرسلين بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلىٰ الله بإذنه وسراجًا منيرًا.

وأنزل عليه كتابه الحكيم، وشرح به دينه القويم، وهدىٰ به الصراط المستقيم.

وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من يموت كما بدأهم يعودون.

وأن الله سبحانه ضاعف لعباده المؤمنين الحسنات، وصفح لهم بالتوبة عن كبائر السيئات، وغفر لهم الصغائر باجتناب الكبائر، وجعل من لم يتب من الكبائر صائرًا إلىٰ مشيئته: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨].

ومن عاقبه بناره أخرجه منها بإيمانه فأدخله به جنته: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧]. ويخرج منها بشفاعة النبي ﷺ من شفع له من أهل الكبائر من أمته.

وأن الله سبحانه قد خلق الجنة فأعدها دار خلود لأوليائه، وأكرمهم فيها بالنظر إلىٰ وجهه الكريم، وهي التي أهبط منها آدم نبيه وخليفته إلىٰ أرضه بما سبق في سابق علمه، وخلق النار فأعدها دار خلود لمن كفر به وألحد في آياته وكتبه ورسله، وجعلهم محجوبين عن رؤيته.

وأن الله -تبارك وتعالىٰ- يجيء يوم القيامة: ﴿وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢]. لعرض الأمم وحسابها وعقوبتها وثوابها، وتوضع الموازين لوزن أعمال العباد: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٨]. ويؤتون صحائفهم بأعمالهم: فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا، ومن أوتي كتابه وراء ظهره فأولئك يصلون سعيرًا.

وأن الصراط حق يجوزه العباد بقدر أعمالهم، فناجون متفاوتون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم، وقوم أوبقتهم فيها أعمالهم.

والإيمان بحوض رسول الله ﷺ تَرده أمته، لا يظمأ من شرب منه، ويذاد عنه من بدَّل وغيَّر.

وأن الإيمان قول باللسان، وإخلاص بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصها، فيكون فيها النقص وبها الزيادة، ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل.

ولا قول وعمل إلا بنية، ولا قول ولا عمل ونية إلا بموافقة السنة.

وأنه لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة.

وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وأرواح أهل السعادة باقية ناعمة إلىٰ يوم يبعثون، وأرواح أهل الشقاوة معذبة إلىٰ يوم الدين.

وأن المؤمنين يفتنون في قبورهم ويسألون؛ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧].

وأن علىٰ العباد حفظة يكتبون أعمالهم، ولا يسقط شيء من ذلك عن علم ربهم، وأن ملك الموت يقبض الأرواح بإذن ربه.

وأن خير القرون: القرن الذين رأوا رسول الله ﷺ وآمنوا به، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي -رضي الله عنهم أجمعين-.

وألاَّ يذكر أحد من صحابة الرسول ﷺ إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يُلتمس لهم أحسن المخارج، ويُظن بهم أحسن المذاهب.

والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم وعلمائهم، واتباع السلف الصالح واقتفاء آثارهم، والاستغفار لهم، وترك المراء والجدال في الدين، وترك كل ما أحدثه المحدثون.

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وأزواجه وذريته وسلم تسليمًا كثيرًا.

نظم مقدمة الرسالة

للشيخ أحمد بن مشرف الأحسائي المالكي

المتوفى سنة ١٢٨٥ هـ - نقلاً من ديوانه (ص١٧)

الْحَمدُ لله حَمدًا ليس منحصرًا ... على أياديه ما يَخفى وما ظهرا

ثم الصلاة وتسليمُ المهيمن ما ... هبَّ الصبَّا فأدرَّ العارضَ المطرَا

على الذي شاد بنيانَ الْهُدى فسما ... وساد كلَّ الوَرَى فخرًا وما افتخرا

نبيِّنا أحْمَدَ الْهَادي وعَتْرَته ... وصحبه كلِّ من آوى ومَن نصرَا

وبعدُ فالعلمُ لَم يظفر به أحدٌ ... إلاَّ سَمَا وبأسباب العُلاَ ظفرَا

لاسيما أصل علم الدِّين إن به ... سعادةَ العبد والمنجَى إذا حشُرَا

باب: ما تعتقدُه القلوب، وتنطق به الألسنُ من واجب أمور الديانات

وأوَّلُ الفرض إيْمَانُ الفؤاد كذا ... نطقُ اللِّسان بِما في الذِّكر قد سطرَا

أنَّ الإلـه إلـهٌ واحدٌ صمد ... فلا إلـه سوى من للأنام برَا

ربُّ السموات والأرضين ليس لنا ... ربٌّ سواه تعالَى من لنا فطرَا

وأنه مُوجِدُ الأشياء أجمعها ... بلا شريك ولا عون ولا وُزَرَا

وهو المنزَّه عن ولد وصاحبة ... ووالد وعن الأشباه والنُّظَرَا

لا يبلغن كُنْهُ وصف الله واصفُه ... ولا يُحيط به علمًا من افتكَرَا

وأنَّه أوَّل باقٍ فليس له ... بدءٌ ولا منتهىٰ سبحان من قدرَا

حيٌّ عليمٌ قديرٌ والكلام له ... فردٌ سميعٌ بصيرٌ ما أراد جَرَا

وأنَّ كرسيه والعرش قد وسعا ... كلَّ السموات والأرضين إذ كبرَا

وَلَم يزل فوق ذاك العرش خالقُنا ... بذاته فاسأل الوحيين والفِطَرَا

إنَّ العلوَّ به الأخبارُ قد وَرَدَتْ ... عن الرَّسول فتابع مَن رَوىٰ وقرَا

فالله حق علىٰ الملك احتوىٰ وعلىٰ ... العرش استوىٰ وعن التكييف كن حَذِرَا

والله بالعلم في كلِّ الأماكن لا ... يخفاه شيءٌ سميعٌ شاهدٌ ويرَىٰ

وأنَّ أوصافه ليست بمحدثة ... كذاك أسماؤه الحسنىٰ لمن ذكرَا

وأن تنزيله القرآن أجمعَه ... كلامُه غيرُ خلق أعجز البشرَا

وحيٌّ تكلَّم مولانا القديمُ به ... ولَم يزل من صفات الله معتبرَا

يتلَىٰ ويُحمل حفظًا في الصدور كما ... بالْخَطِّ يثبته في الصُّحف من زبرَا

وأن موسىٰ كليمُ الله كلَّمه ... إلَهُه فوق ذاك الطور إذ حضرَا

فالله أسمعه من غير واسطة ... من وصفه كلمات تَحتوي عبرَا

حتىٰ رام أن يَحظىٰ برؤيته في مَحبته ... قال الكليم: إلَهي أسأل النظَرَا

إليك قال له الرحمن موعظة ... أنَّىٰ ترانِي ونوري يدهشُ البصرا

فانظر إلَىٰ الطور إن يثبت مكانته ... إذا رأىٰ بعض أنواري فسوف ترىٰ

حتىٰ إذا ما تَجلَّىٰ ذو الْجَلال له ... تصدَّع الطورُ من خوفٍ وما اصطبرَا

فصل في الإيمان بالقدر خيره وشرِّه

وبالقضاء وبالأقدار أجمعها ... إيْمَانُنا واجبٌ شرعًا كما ذكرَا

فكلُّ شيء قضاه الله في أزَلٍ ... طرًّا وفي لوحه الْمَحفوظ قد سُطِرَا

وكلُّ ما كان من همٍّ ومن فرح ... ومن ضلالٍ ومن شكرانٍ من شكرَا

فإنه من قضاء الله قدَّره ... فلا تكن أنت مِمَّن ينكر القدرَا

والله خالقُ أفعال العباد وما ... يَجري عليهم فعن أمر الإله جرَا

ففي يديه مقادير الأمور وعن ... قضائه كلُّ شيء في الورىٰ صَدَرَا

فمن هدىٰ فبمحض الفضل وفَّقه ... ومن أضلَّ بعدل منه قد كفرَا

فليس في مُلكه شيءٌ يكون سوىٰ ... ما شاءه الله نفعًا كان أو ضررَا

فصلٌ في عذاب القبر وفتنته

ولَم تَمُت قطُّ من نفس وما قُتلت ... من قبل إكمالها الرِّزق الذي قُدرَا

وكلُّ روح رسولُ الموت يقبضُها ... بإذن مولاه إذ تستكمل العُمُرَا

وكلُّ من مات مسئولٌ ومفتتنٌ ... من حين يوضعُ مقبورًا ليختبرَا

وأن أرواحَ أصحاب السعادة في ... جنَّات عدن كطير يعلق الشجرَا

لكنما الشهدا أحيا وأنفسهم ... في جوف طير حسان تعجب النَّظرَا

وأنها في جنان الخلد سارحة ... من كلِّ ما تشتهي تجني بها الثمرَا

وأن أرواح من يشقىٰ معذبة ... حتىٰ تكون مع الجثمان في سقرَا

كـذلك الـنار لا تفنىٰ وسـاكنها ... أعـدَّها الله مـولانا لِمَـن كفـرَا
ولا يخلـد فـيها مـن يـوحده ... ولـو بـسفك دم المعـصوم قـد فَجَـرا
وكـم ينجي إلَهـي بالـشفاعة مـن ... خيـر البـرية مـن عـاصٍ بهـا سـجرَا

فصل: في الإيمان بالحوض

وأن للمـصطفىٰ حوضًـا مـسافته ... مـا بـين صـنعا وبـصرىٰ هكـذا ذكـرَا
أحلىٰ مـن العـسل الـصافي مذاقـته ... وأن كيـزانه مـثل الـنجوم تُـرىٰ
ولَـم يَـرِدْه سـوىٰ أتـباع سـنته ... سيماهم: أن يـرىٰ التحجيل والغررَا
وكـم يُنحَّـي ويُنفـىٰ كـل مبـتدع ... عـن ورده ورجـال أحدثـوا الغيـرَا
وأن جـسرًا علـىٰ النيـران يعبـره ... بـسرعة مَـن لمـنهاج الهـدىٰ عبـرَا
وأن إيْمَانـنـا شـرعًا حقيقـته ... قـصد وقـول وفعـل للـذي أمـرَا
وأن معـصية الـرَّحْمَن تنقـصه ... كمـا يـزيد بطاعـات الـذي شـكرَا
وأن طاعـة أولـي الأمـر واجـبة ... مـن الهـداة نجـوم العلـم والأُمَـرَا
إلا إذا أمـروا يـومًا بِمعـصية ... من المعاصي فيلغىٰ أمرهم هدرَا
وأن أفـضل قـرن لَلَّـذين رأوا ... نبيـنا وبهـم ديـن الْهُـدىٰ نُـصرَا
أعنِـي الـصحابة رهـبان بلـيلهم ... وفي الـنهار لدىٰ الهيجا ليوث شرىٰ
وخيـرهم مـن ولـي مـنهم خلافـته ... والسبق في الفضل للصديق مع عمرَا
والـتابعون بإحـسان لَهُـم وكـذا ... أتـباع أتـباعهم مِمَّـن قفـىٰ الأثـرَا
وواجـب ذكـر كـل مـن صـحابته ... بالْخَيـر والكـفِّ عمـا بيـنهم شـجرَا
فـلا تَخـض في حـروب بيـنهم وقعـت ... عـن اجتهاد وكـن إن خضت معـتذرَا

والاقتداء بهم في الدين مفترض ... فهم لنا قدوة هم مقتفو الأثرَا

وترك ما أحدث الضُّلاَّل فيه فكم ... ضَلاَلَةٍ تُبِعَت والدين قد هُجرَا

إن الْهُدىٰ ما هدىٰ الْهَادي إليه وما ... به الكتاب كتاب الله قد أمرَا

فلا مراء وما في الدين من جدل ... وهل يُجادل إلا كل من كفرَا

فهاك في مذهب الأسلاف قافية ... نظمًا بديعًا وجيز اللفظ مُختصرَا

يَحوي مهمات باب في العقيدة من ... رسالة ابن أبي زيد الذي اشتهرَا

والْحَمد لله مولانا ونسأله ... غفران ما قَلَّ من ذنب وما كثرَا

ثم الصلاة علىٰ من عمَّ بعثته ... فأنذر الثقلين الْجِنَّ والبشرَا

وديته نسخ الأديان أجمعها ... وليس ينسخ ما دام الصفا وحرَا

محمد خير كل العالَمين به ... ختم النبيين والرسل الكرام جرَا

وليس من بعده يوحىٰ إلَىٰ أحد ... ومن أجاز فحل قتله هدرَا

والآل والصحب ما ناحت علىٰ فَنَنٍ ... وَرْقًا وما غَرَّدَت قمرية سحرَا

* * * * *